

أبعاد المشاركة الديمقراطية

رؤية تحليلية

الدكتور أحمد بوذراع

معهد العلوم الاجتماعية جامعة باتنة

إن ما نراه من تباين في المشاركة الديمقراطية يدعو إلى الحيرة والقلق. وإن الكم الكبير من المؤلفات التي تتعلق بهذا الموضوع يؤكد على مصداقية القول التالي:

«إن المشاركة الديمقراطية هي أكثر المشكلات حيوية وأهمية في حياة المجتمعات المعاصرة». ومن ثمة أصبحت كلمة المشاركة تعني الكثير من مبادئ الديمقراطية الحقيقية، كما أنها أكثر المصطلحات شيوعاً في لغة الاجتماع والسياسة، حيث أصبحت محور اهتمام من طرف المصلحين الاجتماعيين والسياسيين الذين عملوا من خلال أرائهم وأفكارهم على تغيير المجتمعات، كما كانوا أيضاً يدافعون عن النظم الديمقراطية التي كانت قائمة على فكرة المشاركة التي يحتويها المنهج الديمقراطي والذي يحدد بدوره مفهوم المشاركة وأسسها والذي ارتبط أساساً مع ظهور الأفكار الاجتماعية والسياسية التحررية في العالم، ويعد التراث الغربي لها مرجعاً حقيقياً خاصة بالنسبة للديمقراطية المعاصرة، ومآلها من مثل عليا. وكان «جون جاك روسو» بمثابة، يؤمن بأن المشاركة الشعبية هي ديمقراطية كاملة الحقوق والواجبات، وهذا بعد أن ظهرت فكرة الديمقراطية لدى جون ستيوارت ميل الذي أكد على مشاعية المشاركة والممارسة في شتى مجالات الحياة المختلفة وفي جميع البيئات الاجتماعية المتعددة لتصبح بذلك المشاركة الديمقراطية كمنهج

سياسي واجتماعي يتطلب مجهودات كبيرة خاصة فيما يتعلق بصنع القرارات¹.

وتعد الممارسة الديمقراطية هي عبارة عن دعوة صريحة للمشاركة من قبل الجميع لإطفاء الطابع الشرعي على ماكان تخيلا عملا سياسيا ، ولذا فلا نجد في هذا العالم من لا يحبذ الديمقراطية وفضائلها المختلفة وخاصة فيما تسعى إلى تحقيق في مجال البناء الفردي والاجتماعي والتطور الإقتصادي والسياسي والثقافي، ولهذا فالمشاركة الديمقراطية تتطلب عدم استخدام العنف، وعدم تدعيم استعماله، وأن المشاركة الحقة هي التي لا تقوم على مبدأ العنف السياسي والتمييز الاجتماعي والثقافي، وعلى أن يكون الجميع يتمتعون بالحرية وأن الفرد فيها سيد نفسه².

وعليه لا يمكن في تصوري أن تتجسد روح الديمقراطية إلا إذا اعتمدت على المشاركة العامة لقطاعات الشعب كلها مشاركة كاملة وفعالة، ولا يتيسر هذا الأمر إلا في ظل النظم التي تؤمن بالديمقراطية منهجا اجتماعيا وسياسيا، وبالتالي لا تكون هذه الأخيرة لها معنا مؤثرا في حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية إلا إذا توافرت المبادئ العامة كالعدالة والمساواة وحرية الرأي والتي تعد بمثابة الحصن المانع الذي يضمن المشاركة الحقة للجميع³.

والواقع أن المشاركة لها خاصية هامة وحيوية تصبو من خلالها إلى تحقيق وإرساء المنطلق الفكري والفلسفي لروح الديمقراطية، كما أنها تعتبر العامل الرئيس والمسؤول عما وصلت إليه الديمقراطية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة والتي تعكس مسيرة المجتمعات الإنسانية وتقدمها، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان إلى عدم فهم النظم الديمقراطية إلا من خلال موضوع المشاركة والتي بدورها أيضا تعكس درجة ومستوى التكريس

1) BARKER ERNEST, Principles of social and political theory .

(Oxford University Press, 1951) Sée Introduction "social contact"

2) BARKER ERNEST, op.cit, P.14

3) الموسوعة العربية الميسرة ، تأليف مجموعة من الأساتذة (دار الشعب القاهرة،

الواقعي للسلوك الديمقراطي وما تم تحقيقه في الواقع، باعتبار أن تعميم الممارسة الديمقراطية يتحدد أساسا على مدى مردودية المشاركة.

ولخصوصية هذا الموضوع المتواضع فإنه يتطلب عرض بعض الجوانب النظرية لمفهوم المشاركة وهي:

أولا: المشاركة الديمقراطية:

إن المشاركة الديمقراطية تحتوي نظريا على مجموعة كبيرة من الاتجاهات والآراء والأفكار السائدة والتي تحتوي ضمنا إشترك جميع الأفراد بما فيه منظماته الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والتي تدير إدارة شؤون المجتمع، ويعنى أدق فإن المشاركة الديمقراطية يقصد بها ذلك الترابط في القرارات المتعلقة بالمصلحة العامة للأفراد الخاضعين لهذه القرارات، وذلك في ظل الظروف الاجتماعية والعمليات التفاعلية المتعلقة بالمؤسسات والمنظمات الاجتماعية ذاتها⁴

إن المشاركة الديمقراطية تعتبر ظاهرة اجتماعية ذات متغيرات عديدة يحددها الواقع الفعلي بأربعة أبعاد على الأقل ويربطها مع التفاعلات المختلفة، وهي:

- 1 - القيم الكامنة التي توجه مختلف الممارسات وتحدد الأهداف العامة.
- 2 - المشاركة ذاتها وما تتسم به في ظل النظم الاجتماعية والسياسية المختلفة.
- 3 - القيود البيئية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفرص المتاحة لظهور العمليات التي تتعلق بالمشاركة.
- 4 - نتائج المشاركة المتوقعة على مستوى الفرد والجماعة والمنظمة والمجتمع والتي تعكس حصيلة المشاركة كما وكيفا.⁵

(4) أحمد عطية ، القاموس السياسي، (كلية دار النهضة، القاهرة، 1968).

ص ص 547 - 548 .

(5) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 55 ، السنة الخامسة عشر، أبريل/ يونية 1985 (مركز مطبوعات اليونسكو)، القاهرة 1985 ص ص 142 - 143

إن تواجد الأبعاد الأربعة هي التي تحدد مجال المشاركة الديمقراطية ولو لم تكن بشكل كامل إلا أنها تعد المحاور الرئيسية التي تحدد المشاركة الديمقراطية في أبعادها المستوحاة لتصبح منظورا حقيقي لدى الممارسة الديمقراطية مهما كان درجة مستواها الفعلي والعملي .

ثانيا: معنى المشاركة الديمقراطية:

لا يمكن التحدث عن معنى المشاركة إلا إذا تم تحديد على الأقل بين ثلاثة من المستويات، أو المؤشرات المختلفة⁶ التي تعكس لنا معنى المشاركة الديمقراطية، وهي:

- 1 - المستوى الفردي في المشاركة الديمقراطية .
- 2 - المستوى التنظيمي للمنظمات والمؤسسات الاجتماعية وعلاقتها بالمشاركة الديمقراطية.

3 - المستوى الاجتماعي للمشاركة الديمقراطية.

ونشير في هذا الصدد بأن المستويات أو المؤشرات الثلاثة التي سيتم عرضها بنوع من التحليل والتفصيل فإنها تشكل وحدة كاملة متداخلة لها علاقة "بمعنى المشاركة الديمقراطية" وهي مترابطة واقعيا بشكل وطيد ويرجع السبب في ذلك إلى أنها تشكل علاقات متداخلة فيما بينها ذات الصلة بالمفهوم العام للمشاركة الديمقراطية.

1 - المستوى الفردي للمشاركة الديمقراطية:

يعكس هذا المؤشر بشكل واضح ما جاءت به النظريات النفسية السيكلوجية (النفسية) المختلفة والتي يمكن أن نصنفها ونضعها تحت عنوان «نظرية النمو عند الأفراد»⁷ والتي بدورها ترتبط بمفهوم المشاركة الديمقراطية والتي تبرز حاجة الإنسان (6) المرجع السابق.

(7) د. باشا غانا ، مبادئ علم النفس الاجتماعي، ترجمة بوعبد الله غلام الله، (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1988) صص 13 - 14 .

أنظر أيضا :

فاخر عاقل، علم النفس، (دار العلم للملايين ، بيروت 1989) ص ص 720 - 722.

الحقيقية ليؤكد ذاته وفرو شخصيته لتصبح نشيطة وفعالة ومستقلة ومنظمة ذاتيا لها كفاءة من الناحية النفسية العقلية والثقافية للوصول إلى أهداف بعيدة المدى والتي يمكن من خلالها الفرد إستخدام مهاراته المتاحة في مجال المشاركة الديمقراطية وخاصة فيما يتعلق بأخذ القرارات المتعلقة به⁸.

علما بأن المشاركة الفردية في القرارات ذات أثر إيجابي على حياته وعلى الجماعة التي ينتسب إليها وفي جميع القطاعات العديدة والمختلفة في الواقع الذي يعيشه الإنسان. ومعنى آخر فإن مشاركة الفرد تعتبر عملية ذاتية و آلية لتحفيز النمو وتسهيل حدوثه من أجل زيادة الكفاءة والدقة. كما أنها تعمل على بلورة القدرات ذات التأثير الفعال فيما يحيط بالإنسان خاصة تلك التي تسيطر عليه وبالتالي يمكن أن نتصور معنى المشاركة لدى الأفراد والجماعات على أنها عامل أساسي في تكوين الشخصية الفردية. ويتم هذا من خلال مجموعة كبيرة من المنظمات والمؤسسات الاجتماعية وهذا لما لها من أثر هام على مدى تطور وتقدم فعاليات المنظمين إليها سواء كانت ذات المحتوى الثقافي والسياسي بالنسبة للمجتمع ككل.

2- المستوى التنظيمي للمنظمات والمؤسسات الاجتماعية:

يلاحظ بأن ثمة اتجاهين بارزين في هذا المضمار لهما علاقة بالمشاركة الديمقراطية وهما:

الاتجاه الأول: إن المشاركة الديمقراطية على أنها مبدأ جوهرى لكل تنظيم وصفة تفس المنظمات والمؤسسات بإعتبارها فاعلة في المجتمع وأمر ضروريا لتكريس مبادئ الديمقراطية على مستوى المؤسسات والمنظمات الاجتماعية داخل المجتمع .

الاتجاه الثاني: إن المشاركة الديمقراطية وسيلة لتحقيق أهداف اجتماعية محددة وهذا ما يؤكد على ما جاء في الاتجاه الأول أنه لا يمكن أن نتصور أية منظمة أو

(8) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، المرجع السابق ذكره، ص 142.

مؤسسة دون نوع من المشاركة الديمقراطية من طرف أفرادها المسيرين والمنظمين للعمليات الاجتماعية وإتخاذ القرارات سواء كانت هذه المنظمات سياسية أو ثقافية (جمعيات خيرية) أو دينية أو تعاونيات أو خدمات عامة (كالصحة، والتعليم أو الزراعة والصناعة ..)⁹.

أما الإتجاه الثاني يبين أيضا بأن المشاركة الديمقراطية أداة ووسيلة لتحقيق أهداف محددة مثل قبول الأعضاء الجدد المنظمين إلى النظم، وإشعار المسؤولين بانتسابهم وتكيفهم مع أهداف الأنظمة وهذا يعد تحفيز ومضاعفة في مجال المشاركة الديمقراطية وما ينتج عنها من تفاعلات مختلفة بين أعضاء المؤسسات داخل المجتمع.

والحق أنه من الصعب أن نفرق أو نفصل بين هذين الإتجاهين وخاصة في حالة تناول موضوع المشاركة الديمقراطية بالتحليل أو التركيب باعتبارهما يكملان بعضهما البعض.

3: المستوى الاجتماعي للمشاركة :

يعكس المستوى الاجتماعي للمشاركة وجهة النظر الاجتماعية المشاركة لدى أفراد المجتمع، حيث حظى هذا النوع من المشاركة بأهمية خاصة نسبت فكريا للنظريات الديمقراطية، التي ترى في أن المشاركة حق يرتبط إرتباطا عضويا بتقرير المصير لدى الأفراد، وعلى أنها حق إنساني لا يمكن الإستغناء عنه ويعد قيمة إجتماعية في حياة الشعوب والأمم ويعتبر هذا المنظور السوسيو - بوليتيك (Sociopolitique) الذي يؤكد على أن مستوى المشاركة الاجتماعية أمر ضروري وحاجة اجتماعية في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كمطلب ونتيجة لتعميم الديمقراطية السياسية في الحياة العملية، وهذا ما أكده « باتمان » (Patman) : «إن وجود المنظمات والمؤسسات الاجتماعية على المستوى المحلي ليس كافيا بالنسبة للديمقراطية باعتبارها لا تمثل أقصى

قدر من المشاركة من طرف الجميع»¹⁰

وبذلك فإن الديمقراطية تتطلب توافر إمكانيات ومجالات مفتوحة أمامها يمكنها من تنمية وتطوير الاتجاهات الضرورية لدى الأفراد والجماعات والتي تحدث نتيجة لعملية المشاركة ذاتها وبهذا تكون لطبيعة المشاركة الكبرى في الديمقراطية حقيقة عملية وعلمية في آن واحد لدى الأفراد، وبالنسبة للنظم الاجتماعية التي تتبنى النظام الديمقراطي كوسيلة هامة تتيح للذين يشعرون بالتهميش أو العزلة الاجتماعية عن الفعاليات الهامة داخل المجتمع وأن يصبحوا شرائح اجتماعية فعالة ونشيطة في عملية تشكل المجتمع ككل.¹¹

وبالتالي فإن نجاح أو عدم نجاح النظام الديمقراطي يرجع إلى أسباب عدم تحقيق الأبعاد التنظيمية للمشاركة الديمقراطية، والتي يمكن حصر بعضها فيما يلي:
أ- عدم وضوح الرؤية لأسس المشاركة سواء كانت قائمة على التشريع أو على الاتفاق الاختياري.

ب- الإختلاف في طبيعة المشاركة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة.

ج- درجة التنظيم الذي يحدث في المشاركة غير الواضحة.

د- مجال ونطاق المشاركة هل هو واسع أو محدود؟

و- ترتيب المشاركة الديمقراطية من حيث التخطيط والتنفيذ أو في كليهما معا وتعد هذه الفروق هي التي تؤدي إلى الإختلاف في ماهية المشاركة الديمقراطية.¹²

ومن ثم فإن هذه الفروق والأبعاد هي التي تؤدي إلى الاختلاف في معنى ومفهوم المشاركة الديمقراطية ويعد استخدام هذه الأبعاد كمؤشرات حقيقة لتبيان الأسس التي

10) PARSONS. T. The social system .

(Free press 1961, New York) pp. 126 - 128

11) SIMON, R. "Philosophy of Democratic Gouvernment"

(Chicago, Free Press 1951) p. 36

تقوم عليها المشاركة، والتي بدورها توضح وتبرز دور المشاركة كقاعدة أساسية تقوم على فكرة التشاور كحد أدنى كما أنها تؤكد على البعد الاجتماعي للديمقراطيات السائدة في كثير من البلدان المختلفة والتي تعكس في نهاية المطاف دعوة واقعية للتغيير الكلي من أجل المصلحة العامة التي تحتضنها الأنظمة الاجتماعية والسياسية داخل المجتمعات البشرية المختلفة الأنظمة.

ثالثا: الأبعاد التنظيمية للمشاركة الديمقراطية :

مما لا شك فيه أن للمشاركة الديمقراطية أبعادا تنظيمية تسعى إلى إرساء نظام ديمقراطي واضح ومتين يعود بالفائدة للمصلحة العامة التي يمكن حصر بعضها فيما يلي:

- 1 - النطاق الرأسي للمشاركة وهي الكثافة في المشاركة.
- 2 - النطاق الأفقي للمشاركة ويقصد بها الكثافة في المنافسة.
- 3 - التوقيت في المشاركة ويعنى بها إمكانية التدخل في إتخاذ القرارات في المراحل المختلفة.
- 4 - القدرة على ادراك البعد الاجتماعي في إشراك جميع المستويات الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع.
- 5 - السلوك الموحد لاتجاه المشاركة الديمقراطية.
- 6 - ضرورة الصراع من أجل تنظيم الكفاءات من أجل المشاركة¹³ وهذا ما يعكس أهمية ودور المشاركة الإيجابي في تجسيد الديمقراطية التي تعكس مزيدا من الإدراك والوعي الاجتماعي والسياسي، بالرغم من أن هناك أمورا معقدة لها علاقة بالإطار التحليلي للمشاركة الديمقراطية وذلك أثناء معرفة وفهم هذا البعد الكامل لها. وهذا لا يعني بأن المشاركة ماهي إلا استخدام ضروري في جميع المستويات إبتداء من مشاركة الفرد مروراً بمشاركة المنظمات إلى المشاركة على المستوى الاجتماعي ككل. وقد يزيد الأمر تعقيدا في حالة مقارنتها على المستويات الدولية.

ولذا فإن الواقع يتطلب معرفة الاختلاف القائم في مفهوم وفكرة المشاركة غير الرسمية والرسمية حيث تعد هذه الأخيرة بمثابة لوائح وقوانين ومراسيم في حين أن المشاركة غير الرسمية تعكس العادات والقيم والعقائد وغيرها غير أنهما يتضمنان نوع من المشاركة إلا أن في بعض الأحيان تعد المشاركة الغير رسمية قد تتوالى معها أو تتفوق عليها، باعتبار أن المعايير والقواعد واللوائح المتعلقة بالمشاركة الرسمية تبقى ذات تأثير واقعي في حياة الناس.¹⁴

وعليه فإن واقع المشاركة الديمقراطية ماهو إلا مؤشر على مدى التغير الحاصل في سلوك المشاركين على الرغم من أن هناك أسس ومبادئ قائمة تعمل على تحاشي التناقض اللفظي لمفهوم المشاركة الديمقراطية والتي يمكن حصرها فيما يلي:

أ - المساواة السياسية ويعني بها كل عضو في المجتمع له الحق في المشاركة بصورة مباشرة على أساس الإدلاء بصوته لأي شخص ينوبه خاصة فيما يتعلق بكل القرارات التي تمسه.

ب - التمثيل ويقصد به أن لكل عضو بعض من حقوقه المنصوص عليها شرعاً في التنفيذ لمن يقع عليه الاختيار.

ج - الكفاية في التنفيذ الكامل للأهداف ذات المسائل الحيوية بالنسبة للجميع.¹⁵

ومهما أطلنا التحدث عن دور المشاركة الديمقراطية، يبقى أمرها ضروري وأساسي في تحرير الإنسان من نير الظلم والاستبداد الإجتماعي والسياسي للحكام والأنظمة الفاسدة فإنها تبقى وقعا في واقع حياة الشعوب قاطبة ونابع نسبيا من خلال أنظمتها الاجتماعية والثقافية والسياسة والاقتصادية والتعليمية المطبقة فعليا وعمليا.

(14) المرجع نفسه، ص 149.

(15) المرجع نفسه ص. 54.

للإطلاع أكثر أنظر أيضا:

01 . JONES, R. E. , The Functional Analysis of politics"

(London, Rout ledge and Kegan Paul, 1967) P. 1 - 17

02 . PERSONS. T. , Essays in Sociological theory pure

and applied (N.Y) Free Press clencoe 1949

03 . RAD CHIFFE. BROWN, "Structure and Function

lis primitive society) (New york cohen and wast - 1952)

04 . CROSSER F. Participation and Practice, Carel German,

Social work Practice comllumbia, Collumbia Unviersity Press:

1970.